

## مباحث السيرة النبوية في ضوء الرسالة القشيرية

الدكتور محمد عمران أنور النظامي ☆

### Abstract

The life history and the practical teachings of the Holy Prophet ﷺ set his followers a good example of sufism. So, millions of the people embraced Islam. Thus we see that sufism has influenced the spread of Islam all over the world. All the work of spreading Islam, of teachings, of creating goodwill and educating people in simple and direct message of Islam was done by the Saints and Sufis. An eminent Sufi Al-Qusheri (Death 465 H) is one of these Sufis. He wrote a Comprehensive book on the Subject of Tassawuf' named "Risala Qusheri". which is considered to be a basic book on the said topic. In this book, he proved every aspect of 'Tassawuf' from Holy Quran and seerah and sunnah of Holy Prophet Hazrat Muhammad (ﷺ). He eomphasized to follow the Seerah of Holy Prophet (ﷺ). This article sheds light mainly on the subject that the writer has described the discussions of seerah in various chapters of his famous book "Risala Qusheria" so that one could get guidance from seerah of Holy Prophet (ﷺ) In every aspect of one's life.

**Key Words:** Prophet Muhammad (ﷺ), Sufism, Seerah, Sunnah, Risala Qusheria

☆ الخطيب بمحكمة الأوقاف والشؤون المذهبية، بنجاب

التصوف الحق هو المنهج الشرعي العملي الذي لا يستغنى عنه كل مسلم ومسلمة في سبيل التحقق بالايمان الذوقى والمقام الاحسانى والتخلق بالآداب النبوية والمواقف السيرة المصطفوية والالتزام بالاحكام الشرعية و تزكية النفوس، والتخلص من العلائق والدنائس الاثمية وما الى ذلك من المقامات السامية التي كان عليها فخر الكائنات و سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم وأصحابه الكرام وسلفنا الصالح رضوان الله عليهم۔

هذا العصر الحديث يتقاضى منا ان نعرف و نتمسك بتعاليم الكتاب المبين و سنة رسول المصطفى صلى الله عليه و سيرته و نعلم كيف عاش أسلافنا الصوفية البررة حياتهم اليومية و نتصف نفوسنا بالصفات الجميلة فذا جعلت عنوان مقالى هذا ”مباحث السيرة فى ضوء الرسالة القشيرية“

فلهذا الهدف المهم قسمت مقالى هذا الى جزئين وهما:

١- التعريف بالامام القشيري و كتابه ”الرسالة القشيرية“

٢- مباحث السيرة النبوية فى ”الرسالة القشيرية“

اسمه و نسبه:

هو الامام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد الاستوائى القشيري النيسابورى الشافعى، المحدث الصوفى، و نسبه القشيري الى بنى قشير بن كعب۔ ولد سنة ٦٧٣هـ فى شهر ربيع الأول فى بلدة ”استواء“<sup>(١)</sup>

أخذه العلم و تربيته:

كان و جيهها و نجيبا من صغره، فتنقف بالاداب العربية و لكنه لم يكن يعلم الحساب فذهب الى ”نيسابور“ ليتعلم طرفاً من الحساب، حتى يتمكن من ادارة قرية له باستواء و ارادت المقادير أن يحضر درس أبى على الدقاق فيرى اخلاصا و يرى تقوى فعلمه دقائق و حقائق الروحانية<sup>(٢)</sup>۔

بيعته و تزوجه:

رأى الامام أبو على الدقاق فيه النجابة و علمه علوم الشريعة و الحقيقة فقبله فى زمرة

مريديه ثم اصطفاه في زمرة اخصائه وزوجه ابنته مع كثرة أقاربها- (٣)

### تصانيفه:

ومن تصانيفه وتاليقاته التي ذكرها اسماعيل باشا البغدادى في "هدية العارفين"

- ١- اربعون في الحديث- ٢- استفاضة المرادات- ٣- بلغة المقاصد- ٤- التخيير في علم التذكير في معاني اسم الله- ٥- التيسير في علم التفسير- ٦- عيون الأجوبة في فنون الاسئلة- ٧- الفصول في الاصول- ٨- كتاب المعراج- ٩- لطائف الاشارات في تفسير القرآن- ١٠- المنتهى في نكت أولى النهى- ١١- ناسخ الحديث و منسوخه- ١٢- نحو القلوب- ١٣- حياة الارواح والدليل الى طريق الصلاح- ١٤- شكاية اهل السنة بحكاية مانالهم من المحنة- ١٥- منشور الخطاب في شهود الالباب- (٣)

### وفاته:

وقد توفي الامام القشيري صبيحة يوم الأحد في السادس عشر من شهر ربيع الأول عام ٤٦٥هـ بمدينة نيسابور ودفن بجوار شيخه أبي علي الدقاق- وكان عمره تسعاً وثمانين سنة-

كان الامام أبو القاسم القشيري بحر العلوم وسند التصوف جامع بين الشريعة والحقيقة وكتابه هذا أيضاً من أقدم كتب التصوف باللغة العربية وأما أهمية الكتاب تظهر من هذا أن الأئمة والصوفية مدحوا هذا الكتاب فقال الامام السبكي رحمة الله عليه عنه-

"الرسالة المشهورة المباركة التي قيل ما تكون في بيت ويكلم- (٥)

وقال يوسف اليان فيه:

هذه الرسالة المباركة" (٦)

وقال الامام ابن تيمية في مدح هذا الكتاب "لو انتم تريدون ان تطالعوا التصوف فطالعوا

"الرسالة القشيرية" (٧)

### شروحه:

شروح هذا الكتاب كثيرة منها شرحه الأول لسيد الدين أبي محمد عبد المعطى بن ابي

اثناء و شرحه الآخر باسم "نتائج الأفكار"

هكذا شرحه باسم ”أحكام الدلالة على تحرير الرسالة“ و شرحه خواجه كيسودراز  
رحمه الله باللغة الفارسية أيضاً.<sup>(٨)</sup>

### شهادات و أقوال المشايخ في فضل الإمام القشيري:

أجمع العلماء و المشايخ على مكانته العلمية و الروحانية و تبار و في مدحه:  
قال الشيخ علي بن عثمان الهجویری (ت ٥٢٦ هـ) المعروف به ”واهب الكنز عن الامام  
ابي القاسم القشيري-

”استاد امام و زين اسلام عبد الكريم ابو القاسم بن هوازن القشيري رضي الله عنه اندر زمانه  
خود بدیع است و قدرش رفیع است و منزلت بزرگ و معلوم است اهل زمانه را از روزگار وی  
و انواع فضلش اندر هرفن وی را لطایف بسیار است و تصانیف نفیس، جمله با تحقیق و  
خداوند تعالی حال و زبان وی را از حشو محفوظ گردانیده است.“<sup>(٩)</sup>

الأستاذ الامام و زين الاسلام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري رضي الله عنه  
البدیع في زمانه و الرفیع في قدره و منزلته كبيرة و معلومة لأهل عصره و له من أحواله و أنواع  
فضله لطائف كثيرة في كل فن و تصانیف نفيسة كلها محققة و قد حفظ الله تعالى حاله و لسانه من  
الحشو-

يقول الامام عبد الغافر النيسابوري عنه:

”الامام مطلقاً، الفقيه، المتكلم، الاصولي، المفسر، الأديب، النحوي، الكاتب،  
الشاعر، لسان عصره و سير و قته، و سر الله بين خلقه، مدار الحقيقة، و عين السعادة و قطب  
السيادة من جمع بين الشريعة و الحقيقة.“<sup>(١٠)</sup>  
و ترجم له أبو الحسن الباخري يقال-

جامع لانواع المحاسن تتناده صعبها ذلل المراسن فلو قرع الصخر بصوت تخديره  
لذاب، ولو ارتبط ابليس في مجلس تذكيره لتاب وله فصل الخطاب في فضل المنطق  
المستطاب، ماهر في التكلم على مذهب الاشعري.<sup>(١١)</sup>

## مباحث السيرة في "الرسالة الفشيرية":

قال الشيخ الامام ابو القاسم القشيري عن سبب تاليف كتابه و وضع عن تمسك بالكتاب والسنة النبوية وسيرته صل الله عليه والله يتكلم:

فقال: أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، شهادة موقن بتوحيده، مستجير بحسن تأييده.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده المصطفى، وأمينه المجتنبى ورسوله المبعوث الى كافة الورى صلى الله عليه وآله مصابيح الدجى وعلى اصحابه مفاتيح الهدى وسلم تسليماً كثيراً. هذه رسالة كتبها الفقير الى الله، عبد الكريم بن هوازن القشيري الى جماعة الصوفية ببلدان الاسلام في سنة سبع وثلاثين واربعمائة. (١٢)

ترجم الامام القشيري في كتابه الشهير ثلثة وثمانين صوفياً بالتفصيل وثبت بان كلهم متبعوا السنة والشريعة وسيرة الرسول صل الله عليه والله يتكلم وقال أخيراً.

وكان الغرض من ذكرهم في هذا الموضوع التنبيه على أنهم مجمعون على تعظيم الشريعة، متصفون بسلوك طرق الرياضة، مقيمون على متابعة السنة، غير مخلين بشيء من آداب الديانة، متفوقون على أن من خلا من المعاملات والمجاهدات ولم يبين أمره على أساس الورع التقوى كان مفترياً على الله سبحانه وتعالى، فيما يدعيه، مفتوناً، هلك في نفسه، واهلك من اغتربه ممن ركن الى أباطيله. (١٣)

ذكر الامام أبو القاسم القشيري رحمه الله في ابتداء كتابه:

باب في تفسير الفاظ تدور بين هذه الطائفة وبيان ما يشكل منها. فمن ذلك مثلاً الوقت. المقام الحال، القبض والبسط، الهيئة والانس التواجد والوجد والوجود، الجمع والفرق، جمع الجمع، الفناء والبقاء، الغيبة والحضور، الصحو والسكر، الذوق والشرب، المحو والاثبات، السر والتجلى، المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة اللوائح والطوائع واللوامع، البوداه والهجوم، التلوين والتمكين، القرب والبعد، الشريعة والحقيقة، النفس، الخواطر، علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، الوارد، الشاهد، النفس، الروح السر.

واستشهد بالآيات القرآنية وخصوصاً استشهد بأقوال الرسول ﷺ وأفعاله مثلاً في ذكر الحال هو ذكر "سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول في معنى قوله ﷺ انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله تعالى في اليوم سبعين مرة" (١٣)

وذكر الامام في توضيح هذا الحديث الشريف "انه كان ﷺ ابداً في الترقى من أحواله فاذا ارتقى من حالة الى حالة أعلى مما كان فيها" (١٥)

هكذا استشهد الامام ابو القاسم في "التواجد والوجد والوجود" بقوله ﷺ "ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا" (١٦)

واستشهد الامام أبو القاسم بقول رسول ﷺ "لوبيتم على ما كنتم عليه عندي لصا فحتكم الملائكة" (١٤)

ولأنه ﷺ قال "لي وقت لا يسعني فيه غير ربي عز وجل"

واستشهد بقوله ﷺ "إن الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رصاً بما يصنع" (١٨)

واستشهد في ذكر "القرب والبعد" بقوله ﷺ "ما تقرب الى المتقربون بمثل اداء ما افترضته عليهم ولا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى يحبنى واحبه فاذا احببته كنت له سمعاً وبصراً فبى يبصر وبى يسمع" (١٩)

واستشهد الامام ابو القاسم في ذكر "الشاهد" بقوله ﷺ رایت ربي ليلة المعراج في أحسن صورة أى أحسن صورة رأيتها تلك الليلة لم تشغلني عن رؤيته تعالى بل رأيت المصور في الصورة والمنشى في الانشاء" (٢٠)

وبعد إمعان النظر الدقيق والدراسة العميقة لكتاب "الرسالة القشيرية" يتضح لنا ان الامام ابا القاسم القشيري رحمه الله استشهد بأقوال الرسول ﷺ وأفعاله وأعماله وسيرته وسننه في كل باب هذا الكتاب، مثلاً في باب "التوبة" هو استشهد بتسع آيات قرآنية واستشهد بستة أقوال رسول الله ﷺ وأفعال سيرته ﷺ ويلى نذكر جميع الأبواب التي نجد ذكر أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله منها-

باب المجاهدة، باب الخلوة والعزلة، باب التقوى، باب الورع، باب الزهد، باب الصمت، باب الخوف، باب الرجاء، باب الحزن، باب الجوع وترك الشهوة، باب الخشوع

والتواضع، باب مخالفة النفس و ذكر عيوبها، باب الحسد، باب الغيبة، باب القناعة، باب التوكل، باب الشكر، باب اليقين، باب الصبر، باب المراقبة، باب الرضا، باب العبودية، باب الارادة، باب الاستقامة، باب الاخلاص، باب الصدق، باب الحياء، باب الذكر، باب الفتوة، باب الفراسة، باب الخلق، باب الجود و السخاء، باب الغيرة، باب الولاية، باب الدعاء، باب الفقر، باب التصوف، باب الآداب، باب احكامهم في السفر، باب الصحبة، باب التوحيد، باب احوالهم، عند الخروج من الدنيا، باب المعرفة بالله، باب المحبة، باب الشوق، باب حفظ قلوب المشائخ و ترك الخلاف عليهم، باب السماع، باب كرامات الاولياء، باب رؤيا القوم، باب الوصية للمريدين و اخيرا هو ذكر آداب الشريعة.

و جملة القول ان ذكر جميع مباحث السيرة و احصاءها في هذا المقال الموجز لا يمكن و يلي نذكر بابا و احدا من كتاب ” الرسالة القشيرية“ بالتفصيل و التوضيح.

## باب التوكل:

التوكل لغةً، توكل على الله أى اعتمد عليه و وثق به و استسلم اليه.

ذكر الامام ابو القاسم القشيري في هذا الباب التوكل و متعلقاته بالتفصيل هو استشهاد أو لآبآيات القرآنية منها: قال الله تعالى-

١- و من يتوكل على الله فهو حسبه. (٢١)

٢- قالت لهم رسالهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمتن على من يشاء من عباده و ما كان لنا ان نأتيكم بسلطن الا باذن الله و على الله فليتوكل المؤمنون. (٢٢)

٣- قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غلبون و على الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين. (٢٣)

ثم استشهاد الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله باقوال رسول الله ﷺ و أفعال سيرته و ذكر أن رسول الله ﷺ قال: أريت الأمم بالموسم فرأيت أمتي قد ملأوا السهل و الجبل فأعجبنى كثرتهم و هيئتهم فقيل لى-

أرضيت؟ فقلت، نعم قال و مع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب لا يكتنون

ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون، فقال عكاشة بن محصن الأسدى فقال، يا رسول الله ادع أن يجعلني منهم فقال رسول الله ﷺ اللهم اجعله منهم فقال آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله ﷺ سبقك بها عكاشة. (٢٣)

هكذا استشهد من مواقف سيرة رسول الله ﷺ

عن انس بن مالك قال: جاء رجل على ناقه له فقال: يا رسول الله ادعها واتوكل؟ فقال "اعقلها وتوكل" (٢٤)

ووضح هذا الأمر أن التوكل ضروري للسالك صراط الحق وذكر على هذا الموضوع حكايات الصوفية هو ذكر عن سهل بن عبد الله.

"وقال سهل بن عبد الله: التوكل حال النبي ﷺ الكسب سنته فمن بقى على حاله فلا يتركن سنته.

ثم ذكر قول الأستاذ "سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول: للمتوكل ثلاث درجات: التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن إلى وعده وصاحب التسليم يكتفى بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه وسمعته يقول، التوكل بداية والتسليم واسطة والتفويض نهاية.

ثم قال: وسمعته يقول التوكل صفة الأنبياء والتسليم صفة ابراهيم عليه السلام والتفويض صفة نبينا محمد ﷺ. (٢٥)

وفى الأخير وصلت إلى هذه النتيجة أن الصوفية السادة كانوا يتمسكون بالكتاب والسنة وسيرة رسول الله ﷺ وهذا الكتاب الرسالة القشيرية هو من أوليات التصوف وأسلوب الشيخ الامام أبي القاسم القشيري كان في هذا الكتاب واضحا جدا هو يورد في كل باب الآيات القرآنية ثم يورد أقوال رسول الله ﷺ ومباحث السيرة ثم يذكر أقوال الصوفية وحكاياتهم يعلق تعليقات على ذلك الموضوع.

وَأَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنَا لِلتَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسِيرَتِهِ الْعَلِيَا.



## الهوامش والمصادر

- ١- القشيري، عبدالكريم بن هوزن، ابوالقاسم (ت ٥٢٦٥هـ)، الرسالة القشيرية، مطبعة دار الكتب العلمية، ١٣٢٦هـ، ص: ٥.
- ٢- الرسالة القشيرية، مقدمة
- ٣- أيضًا
- ٤- أيضًا
- ٥- أيضًا
- ٦- السبكي، الامام، عبدالله، طبقات الشافعية، مصر: مطبعة بولاق، ١٥٥٣/٣
- ٧- سر كيس، يوسف اليان، معجم المطبوعات العربية، مصر: مطبع سكيكس، ص: ١٥١٢
- ٨- رساله قشيرية، مترجم: مفتي محمد صديق الهزاروي، لاهور: مكتبة اعلى حضرت، ص: ٣٦
- ٩- أيضًا، ص: ٣٦
- ١٠- الهجويري، علي بن عثمان، ابو الحسن، كشف المحجوب، اسلام آباد: انتشارات مركز تحقيقات فارسي، ايران وپاكستان، ص: ٢٢٦
- ١١- الرسالة القشيرية، ص: ٥
- ١٢- الباخرزي، ابو الحسن، ”دمية القصر“، مصر: مطبعة الخيرية، ص: ٢٢
- ١٣- الرسالة القشيرية، ص: ٨
- ١٤- أيضًا، ص: ٨٨
- ١٥- اخرجه احمد بن حنبل، المسند، ٢١١/٣
- ١٦- الرسالة القشيرية، ص: ٩٣
- ١٧- أخرجه الترمذی، رقم الحديث: ١٤٦
- ١٨- أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: ٢٢٣٩
- ١٩- أخرجه ابو داؤد، رقم الحديث: ٣٦٢١

٢٠ - الصحيح للبخاری، كتاب الرقاق، رقم الحديث: ٦٥٠٢

٢١ - الطلاق: ٣

٢٢ - ابراهيم: ١١

٢٣ - المائدة: ٢٣

٢٤ - السنة لابن عاصم، رقم الحديث: ٢٦٩ - بيروت: مطبعة المكتبة الاسلامية، ٢٠٢١

٢٥ - الصحيح للبخاری، كتاب الرقاق، رقم الحديث: ٦٥٢١

